رسالتان لابن الأنباري

الإغراب في جدل الإعراب

و

لُمَعُ الأدلّة

في أصول النحو

تأليف

ابي البركات عبدالرحمن كمال الدين بن محمد الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ

قدم لهما وعني بتحقيقهما

سعيد الأفغاني

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى بدمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م
الطبعة الثانية : بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد ، فقد استغرقت رحلتي العلمية الى غربي أوربة وشمالي إفريقية النصف الثاني من عام ١٩٥٦ ، واطلعت في زياراتي للمعاهد العليا وخزائن المخطوطات ولقائي بعض الأعلام، على نفائس طيبة وفوائد كبيرة أسأل الله أن يحسن بها الانتفاع والنفع. وكان في جملتها عدد من المخطوطات التي يشتاق العلماء إلى الاطلاع عليها لشهرتها وشهرة أصحابها، صوّرتها وعزمي أن أهيئها للنشر إذا يسر الله وأعان . وهأنذا أقدم اليوم منها كتابين طريفين لابن الأنباري هما (الإغراب في جدل الإعراب) و(لمع الأدلة) في أصول النحو، وقد تقرر طبعهما في مطبعة الجامعة السورية لأنهما من متعلقات المنهج في شهادة علوم اللغة العربية بكلية الآداب ؛ مهدت لهما – بعد أن بذلت في تحقيق نصوصهما ما استطعت من عناية – بكلمة عن ابن الأنباري ومؤلفاته وفنه ، فصلتها للمختصين على ما يتطلبه الموضوع .

والله أسأل أن يزيدنا علماً ويرزقنا من العافية والتوفيق وحسن القصد ما يسدد خطانا ، له الحمد والشكر وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دمشق ١٥ المحرم ١٣٧٧ هـ
١٩٥٧/٨/١٨ م

سعيد الأفغاني

ابن الأنباري

حياته ـــ مؤلفاته ـــ فنه

حياته

ولد في ربيع الأول سنة ٥١٣ هـ – وتوفي في ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٥٧٧ هـ

يعد عصر ابن الأنباري (المئة السادسة للهجرة) الذروة في ازدهار العلوم والآداب والتفنن في تدريسها والتأليف فيها ؛ بحيث لا نكاد نرى في العصور التي تلته – على غزارة التأليف والمؤلفين – إبداعاً يذكر أو عبقرية تلفت إليها النظر، فاذا اعتبرنا المئة السابعة بدء عصور الانحطاط لم نكن إلى خطأ. وانتشار المدارس الرسمية العليا ذوات الاختصاصات المختلفة والتقاليد (الجامعية) المتوارثة كالمدرسة النظامية ببغداد ، سمة طبعت العصر في جميع الأقطار الاسلامية من الأندلس إلى الهند ؛ فأي مدينة تدخل من مدن هذه الحضارة الوارفة وتقصد إحدى مدارسها العليا ترَ طلبة من أقطار شتى فرادى وجماعات، عاكفين على الدرس ، كل في اختصاصه ، قد كفاهم مؤونة التفكير في العيش ، أوقاف عظيمة دارّة على المدرسة واساتذتها وطلابها وموظفيها وخدمتها ، ميزانيات وملاكات وشروط واقفين هي أشبه الأشياء بما نعهد اليوم في جامعاتنا [1].

---

(١) بل كانت اوسع منها مدى بكثير ، الى حد جعل العالم يتفنن في علوم شتى لتتحقق فيه شروط عدة لواقفين مختلفين ؛ واذاً يستطيع ان يتمتع بأعظم نصيب من الرفاهية . واليك مثلاً يعطيك صورة صادقة عن ذلك :

الوجيه ابن الدهان النحوي الضرير واسمه المبارك بن المبارك ، صحب مترجمنا ابن الانباري « ولازمه وأخذ جل ما عنده... تفقه على مذهب أبي حنيفه ، ويقال انه كان قبل ذلك حنبلياً ثم انتقل الى مذهب الشافعي لما تولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية (التي) في شرط واقفها : ان يكون النحوي بها شافعياً !! =

هذا النضج في العلم والتعليم والتأليف ، مع الرحلات الواسعة التي كانت من ألزم الرغبات لطلاب العلم ، جعل التأثير والتأثر بين المدارس والمذاهب والمؤلفات والعلماء والطلاب ، من الأندلس إلى المشرق ، عميقي الجذور إلى الحد الذى يحمل على الاعتقاد أن البيئات العلمية في تلك الأقطار المترامية كأنها صهرت في بوتقة واحدة أو صبت في قوالب متشابهة على أقل تقدير . والذي ينبغي ألا يغرب عن النظر دائماً أن هذا الترابط العلمي يقابله تفكك وانحلال وتمزق في الادارة والسياسة من اقصى المغرب إلى أقصى المشرق .

• • •

« الأنبار » بلدة على الضفة الشرقية للفرات، على بعد عشرة فراسخ (نحو ٦٥ كيلو متر) غربي بغداد ، « عامرة ، آهلة ، كثيرة النخيل والزروع الجيدة والثمار الحسنة [١] » ، ولزمها هذا الاسم الفارسي « لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابير الطعام[١] » ومن كثرة مخازن الحنطة والشعير فيها . والتاريخ يعرفها أول عاصمة لدولة بني العباس ، فقد اتخذها أول خلفائهم أبو العباس السفاح مقراً له بعد الحيرة وبقيت كذلك أيام المنصور حتى بنى بغداد فانتقل إليها [١] .

= فقال فيه شاعر ظريف هو محمد بن احمد التكريتي المعروف بالمؤيد :

فمن مبلغ عني الوجيه رسالة ... وان كان لا تجدي اليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما اعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر ... الى (مالك) فافطن لما أنا قائل

— انظر إنباه الرواة ٣/٢٥٥

ولا يخفى ان خازن النار اسمه (مالك) ، وهو الذي اراد الشاعر الظريف بتوريته باسم الامام (مالك بن أنس) صاحب المذهب المالكي .

فترى أن الطموح الى تعداد المكاسب نقل هذا النحوي في المذاهب المختلفة ، ومنها المذهب الشافعي الذي اشترطه واقف المدرسة النظامية في مدرس النحو .

(١) انظر (الأنبار) في معجم البلدان لياقوت، وكتاب البلدان لليعقوبي ووفيات الأعيان ١/٣٢٠ . هذا والأنابير جمع الأنبار ، ومفرد الأنبار : نبر ، بكسر النون وسكون الباء .

غادر ابن الأنباري بلده وهو صبي ، إلى بغداد طلباً للعلم ، ثم انتظم في مدرستها المشهورة « النظامية » ، يرد مواردهـــا العذاب كمئات من أمثاله الغرباء ؛ حتى إذا شارك في فنون شتى ، لزم ثلاثة من أعلام زمانـه كانوا أئمة في فنون ثلاثة :

١ الإمام أبا منصور سعيد بن محمد المعروف بابن الرزاز أستاذ الفقـه الشافعي بالمدرسة النظامية ، ومن كبار أئمة بغداد فقهاً وأصولاً [توفي سنة ٥٣٩ هـ] لازمه « حتى برع وحصل طرفاً صالحاً من الخلاف » [١] .

٢ — ثم قرأ اللغة والأدب على الإمام العلم المشهور أبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمـــد (المتوفى سنة ٥٥٩هـ) « وبرع في الأدب حتى صار شيخ وقته » [١] .

٣ — وقرأ النحو على الإمام النقيب أبي السعادات هبة الله بن الشجري (٤٥٠ — ٥٤٣ هـ) الذائع الصيت « حتى برع وصار من المشار إليهم في النحو » [٢] ، « ولم يكن ينتمي في النحو إلا إليه » [٢] .

انصرف ابن الأنباري بعد تخرجه وبعد روايته الكثير من كتب الأدب، إلى التعليم والتأليف ؛ فاشتغل معيداً في المدرسة النظامية لمادة فقه الشافعية على ما يظهر، وأستاذ المادة — كما علمت آنفاً — شيخه ابن الرزاز، وبقي على ذلك حتى صار مدرساً فيها لعلم العربية ، وكانت هـذه الحقبة من أخصب الحقب إنتاجاً في حياة ابن الأنباري ، إذ ألف فيها لكبار المشتغلين عليـه كتاباً من أعظم الكتب في العربية وهو (الإنصاف في مسائل الخلاف) ، كان يذكرها أبداً بالخير ، فها هو ذا في مقدمة كتابه الإنصاف يقول :«وبعد

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٠١ . ويريد الخلاف الفقهي وخاصة بين الحنفية والشافعية .

(٢) انباه الرواة ٢/١٧٠ ، انظر مقدمة كتاب (اصلاح ما تغلط فيه العامة) من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق بتحقيق الأستاذ السيد عز الدين التنوخي رحمه الله .

فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية ، بالمدرسة النظامية عمر الله مبانيها ورحم بانيها .. الخ » .

خرج كتابه (الإنصاف) على الناس فراج وكثر الانتفاع به ، وشغف الناس بهذا النمط من التأليف فعادوا عليه يقترحون تلخيص كتاب « في جدل الإعراب .. ليكون أول ما صنف لهذه الصنعة في قوانين الجدل والآداب .. » فأجابهم إلى طلبتهم بهذه الرسالة وبرسالة بعدها هي (لمع الأدلة) ، الرسالتين اللتين بين يدي القارىء بعد قليل .

هذا ما عاد به وجوده في النظامية على العلم من خير .

والظاهر أن مزاج الشيخ لم يستطع الصبر طويلاً على قيد الوظيفة بالنظامية ، فآثر الحرية ، وانقطع في منزله منفقاً وقته أثلاثاً في الإقراء والتأليف والعبادة ، وانتشرت مؤلفاته ، وكثر قصد الطلاب العلماء منزله للاستفادة ، راحلين إليه من شتى الأقطار . واستمر على ذلك حتى لبى دعاء ربه .

• • •

لا تسعفنا المصادر بأخبار عنه شافية ، وخليق بمن أصبح قبلة الأنظار في أساتذة النظامية يرحل إليه العلماء من جميع الأقطار ، ومن تخاطفت الطلاب والأدباء تصانيفه حتى ذاعت كل مَذاع ، أن يكون له تاريخ حافل بالمستطاب من الأخبار . ومع هذا فالشكر لله ان عرفنا من هذه الأسطر التي ترجموه بها نمط عيشه وملبسه ، ومورد رزقه ، ثم أخلاقه وإيمانه بالله وإخلاصه للعلم وإكباره له الإكبار المنقطع النظير حتى كان منه في عز دونه عز الملوك :

مال الى العزلة والزهد في الدنيا وفي مجالسة اهلها ، وانقطع في «رباط له بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة »[1] فلا يخرج الا يوم الجمعة ، كان لا

---

(١) انباه الرواة ٢/١٧٠ .

يسرج في بيته الذي فرشه فرشاً خشناً كملبسه الذي أجمعوا على خشونتـه ايضاً . حياته جد محض « لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم ، وكان له من أبيه دار يسكنهـا ودار وحانوت مقدار اجرتها نصف دينار في الشهر ، يقنع به ويشتري منه ورقاً ... وكان لا يوقد عليه ضوء ، وتحته حصير قصب، وعليه ثوب وعمامة من قطن يلبسها يوم الجمعة.. ويلبس في بيته ثوباً خلقاً »[١] .

هذا كل ما عرفنا من ترجمتهم لمن « صار شيخ العراق في الادب غـير مدافع »[١]، وأظنه كافياً في رسم صورة قريبة من التمام بخطوط قليلة. لكن الصورة تتم — بعد أن عرفنا نفقته في بيته وعيشته تلك الخشنة الأبية — بأن تعرف ما يأتي :

لم يكن اعتزاله في بيته إلا عاملاً بعيد الاثر جداً في ذيوع صيته ، ورغبة عظماء الناس في مرضاته ، فقد أجمع مترجموه على تودد الخليفة المستضيء بالله[٢] اليه ، وابتغائه بره ، و « سيَّر إليه (٥٠٠) دينار ، فردَّها، فقالوا له : « اجعلها لولدك » فقال : إن كنت خلقته فأنا أرزقه !!»[٣] .

رحم الله ابن الانباري فلم يكن يقدر الدنيا وأهلها فوق قدرها وقدرهم، ولقد أعز العلم والدين فأعزه الله حتى على الملوك[٤] .

---

(١) طبقات الشافعية ٤/٢٤٨ ، وشذرات الذهب ٤/٢٥٨ .

(٢) أبو محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله العباسي ، المستضيء بالله الثالث والثلاثون من خلفاء بني العباس امتدت خلافته من سنة (٥٦٦ — ٥٧٥ هـ) ، حسن السيرة في الجملة، نادى برفع المكوس ، ورد المظالم .

(٣) طبقات الشافعية ٤/٢٤٨ ، وشذرات الذهب ٤/٢٥٨ .

(٤) ولولا أنه لا هادي لمن أضله الله لأشرت أن يقرأ سيرة ابن الأنباري هذه ، عبيد الدراهم ممن كانوا ينتسبون إلى العلم والدين ثم تهافتوا على المال والمناصب في دناءة ووضاعـة كلبيتين ، راكبين اليها الكذب والنفاق وسوء الائتمان وغش الجماهير ، وتدنيس العلم وتغيير الدين عشرين مرة في النهار .

ستجد ايها القارىء الكريم حيثما أجلت بصرك في مصادر ترجمته ، هذه الصفات التي يجوز لك — بناء على ما مر بك — أن تتخيل تحت كل منها قصة لا تقل عن قصة الخليفة المستضيء روعة وإكباراً وموعظة ونبلاً :

« صاحب التصانيف المفيدة ، وله الورع المتين ، والصلاح ، والزهد ... لم أرَ في العباد المنقطعين أقوى منه في طريقه ولا أصدق منه » [١] ، «النحوي المتفنن، الزاهد الورع ... كان إماماً ثقة، صدوقاً، فقيهاً، مناظراً، غزير العلم ، ورعاً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً عفيفاً ، لا يقبل من أحد شيئاً ، خشن العيش والمأكل ، لم يتلبس من الدنيا بشيء » [٢] .

« أقرأ الناس على طريقة سديدة ، وسيرة جميلة من الورع ، والمجاهدة ، والتقلل ، والنسك ، وترك الدنيا ومحاسنة أهلها [٣] »، « اشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء .. وكتبه كلها نافعة، وكان نفسه مباركاً ، ما قرأ عليه أحد إلا تميز ... ولم يزل على سيرة حميدة » [٤] .

ذكروا أن له شعراً ، فروى له ابن شاكر الكتبي هذه المقطوعة :

العلم أوفى حلية ولباس ... والعقل أوفى جُنة الأكياس
كن طالباً للعلم تحي وإنما ... جهل الفتى كالموت في الأرماس
وصن العلوم عن المطامع كلها ... لترى بأن العز عز الباس
والعلم ثوب ، والعفاف طرازه ... ومطامع الإنسان كالأدناس
والعلم نور يُهتدى بضيائه ... وبه يسود الناس فوق الناس[٥]

ثم أورد له القفطي هاتين المقطوعتين [٣] :

---

(١) طبقات الشافعية ٤/٢٤٨ .
(٢) بغية الوعاة ص ٣٠١ .
(٣) إنباه الرواة ٢/١٧٠ ، ١٧١ .
(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ وقد لقي ابن خلكان جماعة من تلاميذه العلماء .
(٥) فوات الوفيات ١/٥٤٧ .

تدرع بجلباب القناعة [١] والياس وصنه عن الأطماع في أكرم الناس
وكن راضياً بالله تحيا منعماً وتنجو من الضراء والبؤس والباس
فلا تنس ما أوصيته من وصية أخَيّ ، وأي الناس ليس بالناسي ،

دع الفؤاد بما فيه من الحرق [٢] ليس التصوف بالتلبيس والخِرق
بل التصوف صفو القلب من كدر ورؤية الصفو فيه أعظم الخرق
وصبر نفس على أدنى مطامعها وعن مطامعها في الخلق بالخلق
وترك دعوى بمعنى فيه حققه فكيف دعوى بلا معنى ولا خلق

رحمه الله ، لقد عاش حياته كذلك ، ولئن لم يعجبنا هذا شعراً لشبهه بشعر العلماء ، إن صدقه ليبلغ شغاف قلوبنا .

وذكر له السيوطي قطعة هي بالشعر ألصق مما تقدم :

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني وأرقتني أحزان وأوجـــاعُ
وصار كلي قلوباً فيك دامية للسقم فيها ولـــلآلام إسراع
فإن نطقت فكلي فيك ألسنة وإن سمعت فكلي فيك أسماع [١]

وقد أهملوا في ترجمته أبياته التي نظمها مطلعاً لمقصورة ابن دريد والتي أوردها السيوطي في ترجمته لابن دريد من كتابه (بغية الوعاة ص ٣٢) ، حيث ذيلها بقوله :

فائدة : ابتدأ ابن دريد مقصورته بقوله :

إما تريْ رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٠٢

(٢) انباه الرواة ، وفيات الأعيان ، بغية الوعاة . الصفحات السابقة .

فاستغنى بذكر الشرط في قوله (إما) وتاء الخطاب في قوله (تريْ) عن تقدم ذكر المخاطب لدلالة المذكور على المحذوف ، وقد تكلف الكمال ابن الأنباري نظم أبيات جعلها مطلعاً لها فقال :

شرد عن عيني الكرى طيف سرى ... من أم عمرو في غياهيب الدجى
زار وسادي والظلام عاكف ... وأنجم الليل مديدات الطُّلى
أهلاً بشخص ما رأينا مثله ... في يقظة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع ... بأعين الغيد وأجياد الظُّبى
نواعس مثل المها نواهد ... خمص البطون عاليات المنتمى
والغانيات لا يردن من بدا ... في عارضيه الشيب لو رام الصبا
لما رأت شيبي عم مفرقي ... قالت : غبار يا خليلي ما أرى ؟
ولم تزل تمسحه بمرطها ... والقلب ما بين إياس ورجا
قلت لها موعظة لعلها ... تعي صروف ما رأت بي قد علا :
يا ظبية أشبه شيء بالمها ... راتعة بين الهضيم والحشى
إما تريْ رأسي . . . الخ اهـ

وسترى أن له شرحاً على مقصورة ابن دريد .

• • •

أسلم روحه إلى خالقها ليلة الجمعة ٩ شعبان سنة ٥٧٧ هـ بعد أربع وستين سنة من القراءة والإقراء والتأليف والعبادة ، ودفن يوم الجمعة بباب (أبرز) بتربة الشيخ أبي اسحاق الشيرازي ببغداد ؛ رحمه الله [١] .

مؤلفاته :

انقطع ابن الأنباري للإقراء والتأليف معظم سني حياته ، وقد ذكروا

---

(١) انباه الرواة ، وفيات الأعيان ، بغية الوعاة : الصفحات السابقة .

أن له مئة وثلاثين « مصنفاً في اللغة والأصول ، والزهد ؛ وأكثرها في فنون العربية »[١] ، وقد استطعنا أن نجمع من أسمائها ما شارف الثمانين، معتمدين على مصادر عديدة[٢] ، وإليك عناوينها مرتبة على الحروف :

١ — الاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار ، ٢ — أخف الأوزان[٣] ، ٣ — أدلة النحو والأصول (لعله الفصول في معرفة الأصول)، ٤ — أسرار العربية ، ٥ — الأسمى في شرح الأسما[٤] ، ٦ — أصول الفصول في التصوف ، ٧ — الأضداد ، ٨ — الإغراب في جدل الإعراب ، ٩ — الألفاظ الجارية على لسان الجارية ، ١٠ — الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ١١ — بداية الهداية ، ١٢ — البلغة في أساليب اللغة ، ١٣ — البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، ١٤ — البيان في جمع أفعل أخف الأوزان[٥] ، ١٦ — تاريخ الأنبار ، ١٧ — تصرفات « لو » ، ١٨ — تفسير غريب المقامات الحريرية ، ١٩ — التغريد في كلمة التوحيد ، ٢٠ — التنقيح في مسلك الترجيح[٦] (في الخلاف)[٧] ، ٢١ — جلاء الأوهام وجلاء الأفهام في متعلق الظرف في قوله تعالى « أحل لكم ليلة الصيام » ، ٢٢ — الجمل في

---

(١) شذرات الذهب ٤/٢٥٨ .

(٢) وفيات الأعيان ، طبقات الشافعية ، انباه الرواة للقفطي، بغية الوعاة ، المزهر، كشف الظنون ، مخطوطة الاسكوريال من كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف — رقم ١٢٠ من ص ٦ — ٨) مؤرخة سنة ٦٠٩ ، وطبعة ليدن من الكتاب نفسه ص 96 فما بعد ، الوافي بالوفيات ، الأعلام للزركلي ، بروكلمان مع الذيل ، وغيرها .

(٣) انظر « البيان في جمع أفعل » الآتي بعد .

(٤) في الوافي بالوفيات : « الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى » . وفي كشف الظنون : الأسماء في شرح الأسماء .

(٥) كذا في اكثر المصادر ، وبعضها يجعل (أخف الاوزان) كالكتاب المستقل .

(٦) كذا في (بغية الوعاة) و(الوافي بالوفيات) وفي بعض المصادر « مسلك التنقيح في مسألة الترجيح » ، وفي بعضها : « التنقيح في مسالة الترجيح » وهو تصحيف .

(٧) زيادة من كشف الظنون .

علم الجدل ، ٢٣ — الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ، ٢٤ — الحض على تعلم العربية ، ٢٥ — حلية العربية ، ٢٦ — حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود ، ٢٧ — حواشي الايضاح ، ٢٨ — الداعي إلى الاسلام في علم الكلام ، ٢٩ — ديوان اللغة ، ٣٠ — رتبة الانسانية في المسائل الخراسانية ٣١ — الزهرة في اللغة ، ٣٢ — زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء[١] ، ٣٣ — شرح الحماسة ، ٣٤ — ديوان المتنبي ، ٣٥ — شرح السبع الطوال ، ٣٦ — شرح المقبوض في العروض ، ٣٧ — شرح مقصورة ابن دريد ، ٣٨ — شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل ، ٣٩ — عقود الاعراب ، ٤٠ — عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء[٢] ، ٤١ — الفائق في أسماء المائق ، ٤٢ — الفصول في معرفة الأصول ، (في النحو ، ذكر فيه أوضاع الأصول المشابهة لأصول الفقه ولعله أدلة النحو والأصول المذكور في بعض المصادر) ، ٤٣ — فعلت وأفعلت ، ٤٤ — قبسة الأديب في أسماء الذيب ، ٤٥ — الطالب في شرح خطبة (أدب الكاتب) ، ٤٦ — كتاب الألف واللام ، ٤٧ — كتاب حيص بيص ، ٤٨ — كتاب في (يعفون) ، ٤٩ — كتاب كلا وكلتا ، ٥٠ — كتاب الكلام على عصيّ ومغزوّ ، ٥١ — كتاب كيف ، ٥٢ — كتاب لو[٣] ، ٥٣ — كتاب ما[٣] ، ٥٤ — اللباب المختصر [٤] ، ٥٥ — لمع الأدلة [٥] ، ٥٦ — اللمعة في صنعة الشعر نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (٣١/٤٨) سنة ١٩٥٦م ، ٥٧ — المرتجل في إبطال تعريف (الجمل) ، ٥٨ — مسألة دخول الشرط على الشرط ،

---

(١) في بغية الوعاة وغيرها : رتبة ... فآثرنا ما في « الوافي بالوفيات » وما في « كشف الظنون » الذي أدرجه في حرف الزاي ثم قال : مختصر أوله : « الحمد لله مولي النعم والآلاء ».

(٢) أهملته جميع كتب التراجم التي اطلعت عليها ، وذكره صاحب (الأعلام) محيلا على (بغية الوعاة) : و(وفيات الاعيان) و(فوات الوفيات) ؛ وهو ليس فيها جميعاً . ثم رأيت صاحب (كشف الظنون) ذكره وقال إن أوله : « الحمد لله على توالي الآلاء . الخ»

(٣) زيادة عن (الوافي بالوفيات) .

(٤) في (بغية الوعاة) و (الوافي بالوفيات) : « اللباب ، المختصر » كأنهما كتابان .

(٥) في كشف الظنون : « لمعة الأدلة » وهو سهو .

٥٩ — المعتبر في الفرق بين الوصف والخبر ، ٦٠ — مفتاح المذاكرة ، ٦١ — المقبوض في (علم)[١] العروض ، ٦٢ — مقترح السائل في (ويل امه) ، ٦٣ — منثور العقود في تجريد الحـــدود ، ٦٤ — منثور الفوائد ، ٦٥ — الموجز في القوافي ، (نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (٣١ / ٤٨) سنة ١٩٥٦ ، ٦٦ — ميزان العربية ، ٦٧ — نجدة السؤال في عمدة السؤال ، ٦٨ — نزهة الالباء في طبقات الأدباء ، ٦٩ — نسمة العبير في التعبير ، ٧٠ — نفبة الوارد[٢] ، ٧١ — نقد الوقت ، ٧٢ — نكت المجـالس في الوعظ ، ٧٣ — النوادر ، ٧٤ — النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح ، ٧٥ — الواسط (في الخلاف[٣] ، ٧٦ — الوجيز في التصريف ، ٧٧ — هداية الذاهب في معرفـة المذاهب * .

---

(١) زيادة من (الوافي بالوفيات) .

(٢) يذكر في بعض المصادر خطأ باسم : بغية الوارد .

(٣) أمالي ابن الشجري ٢/١٢٠ ، ١٤٨ ، ١٩٤

* بعد صدور الطبعة الأولى أرسل الينا الاستاذ العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي بياناً بأماكن بعض هذه الرسائل المخطوطة وعدد صفحاتها ننشرها للفائدة وهذا نصها (مع استبدال أرقام الطبعة الجديدة) :

توجد في كتبخانة أحمد الثالث مجموعة بالتعليق (يريد بخط التعليق) فيها من رسائل الكمال ابن الأنباري عدة ورقمها ٢٧٢٩ وهي :

رقمكم	
١٣	فيها في ٥ صفحات
٢٦	فيها في ٧ صفحات
٣٤	فيها في ١٠ صفحات
٤٠	فيها في ٣ صفحات
٥٧	فيها في ٣ صفحات والاسم : اللمعة في صنعة الشعر له أي البديع
٦٤	فيها في ١٨ صفحة
٦٥	فيها في ٣ صفحات
٧٦	فيها في ٧ صفحات

وبآخر المجموعة ، زيادة : فرائد الفوائد ، مائة كلمة من الحكمة مرتبة . وبخزانة كوبرولو في مجموعة ١٣٩٣ : الكلام على عصي ومغزو ، له ، ٤١ الفائق الخ نسخته بخزانة فيضالله (باستانبول) رقم ٢١٢ في ٢٤٤ ورقة (كذا ؟) اهـ

فن ابن الأنباري :

لئن شحت عن ابن الأنباري الأخبار ، لقد جادت بالتعريف به الآثار ؛ فقد تفرد بابتكاره في فن التأليف ، حتى ليستأثر بطابع خاص بين هـذه الكثرة الكاثرة من المؤلفين في علوم العربية؛ وإن الذي ألف أسلوبه في تأليفه وتوليده ولمس أستاذيته في تنسيقه وعرضه ، ليميز كلامه من كلام غيره على أيسر سبيل،وإن حاولت أن تغيبه بين عشرات الأساليب في مختلف الأعصار.

طبع لابن الأنباري من مصنفاته التي جاوزت المئة ثلاثة كتب ونشرت له رسالتان :

١ — « نزهة الالباء في طبقات الأدباء » ترجم فيه النحاة والأدباء .

صغير الحجم، ولكنه «جمع فيه المتقدمين والمتأخرين »[١] وكأنه اختصار وتركيز لطالب أو لأستاذ يريد جمع مكتبة في كتاب ، مع صفاء الأسلوب وتحقيق الأخبار وسرعة الإدراك لخصائص الرجال المميزة .

٢ — « أسرار العربية » عرفه هو في المقدمة بقوله :

« وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصححت ما ذهبت إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل ، وأوضحت فساد ما عـداه بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله إلى الدليـل ، وأعفيته من الاسهاب والتطويل ، وسهلته على المتعلم غاية التسهيل » .

والكتاب مختصر مركز في النحو ، خدم به الطلاب المتوسطين ، ويغلب عليه الأسلوب الجدلي الخالي من الفضول ، وصدق ابن خلكان حين وصفـه بقوله : « سهل المأخذ كثير الفائدة »[١] .

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ . طبع (نزهة الالباء) بمصر سنة ١٢٩٤ هـ . أما « أسرار العربيه » فقد طبع بمطبعة (بريل) بليدن سنة ١٨٨٦ م — ١٣٠٣ هـ . ثم أعاد طبعه في دمشق سنة ١٩٥٧ الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٣ — « الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين»[١]

هذا أعلى كتبه المطبوعة درجة وأنفسها فائدة ، وفيه يتجلى أسلوبه كاملاً بجميع سماته . عرض فيه لـ (١٢١) مسألة من مسائل الخلاف بين المدرستين، فبسطها بسطاً شافياً . وخطته بعد ذكر الموضوع أن يسير به مراحل أربعاً تشبه مراحل الدعوى في المحاكم :

الأولى — سرد دعوى الكوفيين فيه ثم دعوى البصريين ، وبذلك تحدد جوانب الموضوع كله .

الثانية — الإدلاء بالبينات : فيبدأ بحجج الكوفيين يعرضها بوضوح ، ثم يعقبها بحجج البصريين كذلك .

الثالثة — الردود : يعرض في هـذه المرحلة لردود كل فريق على حجج الفريق الآخر وأغلب ما يطـّرد ذلك للبصريين .

الرابعة — الحكم : لكن هذه المرحلة لا تطرد في كل المسائـل ، فكأن ابن الأنباري يكتفي بإيراد ردود البصريين على حجج الأولين فتكون هذه الردود هي حكمه هو نفسه في المسألة المعروضه. على أنه نصر مذهب الكوفيين في مسائل قليلة .

وذكر في مقدمته توخيه الانصاف في العرض والحكم فقال : « وذكرت من مذهب كل فريق ، ما اعتمد عليه أهل التحقيق ؛ واعتمدت في النصرة، على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة والبصرة ، على سبيل الإنصاف ، لا التعصب والإسراف » .

---

(١) طبع بمطبعة (بريل) في ليدن سنة ١٩١٣ م طبعة جيدة مخدومة بالفهارس والحواشي المختلفة مع دراسة بالالمانية . ثم طبع في مطبعة الاستقامة بمصر سنة (١٩٤٥ م) طبعة أولى ثم طبعة ثانية .

والكتاب حافل بقواعد أصولية عامة غير المسائل الكثيرة التي يسوق إليها الاستطراد ، أما الشواهد وكثرتها فحدث عنهـــا ولا حرج ، إذ هي عمدة كل فريق في نصر ما يذهب إليه .

لقد قررتُ دراسة هذا الكتاب وتدريسه في شهادة علوم اللغة العربية في كلية الآداب منذ سنة ١٩٤٨ ، وأنا أشهد اني والطلاب كنا ننتظر بشوق موعده الأسبوعي ، لأنا لم نكن نشعر اننا في درس نحو بل في قاعة محكمة جلس فيها المتحاكمان ومحاموهما ، نستمع إلى المدعي وبينته ثم إلى المدعى عليه وبينته ، ثم إلى دفع كلٍّ حجة خصمه؛ فلا يكاد ينتهي المجلس إلا وقد خرج النظارة بالحكم مطمئنين أحياناً ومترددين أحياناً ، قد علقوا على بعض الحجج بما يوهنها أو يقويها ، وعرضوا للحكم أحياناً بما يؤيـده أو يشكك فيه ، وقد امتلأت حقابهم من قواعد أصولية عامة اتفق على رعايتها الطرفان ، فإذا أخل ببعضها تعرض المخل لحساب غير يسير .

أما الرسالتان فيها (اللمعة في صنعة الشعر) و (الموجز في القوافي) وقد مر ذكر نشرهما في مجلة المجمع العلمي بدمشق .

• • •

وبعد، ما هذا الابتكار الذي قلنا إن فن ابن الأنباري في التأليف يتسم به؟

نحن نعرف أن التطلع إلى أن يكون للعربية علوم وقواعد وأصول على مثل ما للشريعة [١] ، أمنية داعبت همم الكثير من العلماء منذ المئة الثانية للهجرة ، فمحاكاة أهل الأدب أهلَ الحديث في فن الرواية والعناية بالسند معروفة . وكذلك تقليدهم مدرسة الرأي في الفقه في تعليل الأحكام حدتهم على أن يجدوا لأحكام العربية عللاً تشبه تلك من جهة ، وتشبه من جهة ثانية

---

(١) انظر أثر العلوم الدينية في علوم العربية في كتابي (في أصول النحو) ص ١٠٠ طبعة ثالثة (مطبعة الجامعة السورية ١٩٦٤) .

علل المتكلمين الذين اعتمدوا العقل والمنطق سلاحين في دعوتهم إلى فلسفة العقيدة ؛ فكان للنحاة احتجاج بقواعد تشبه ما للمحدثين ، وقياس وعلل يشبهان ما للفقهاء والمتكلمين ، ثم عنوا بمسائل الخلاف عناية الفقهاء بخلافهم . وكان من الطبيعي أن تكون خطا النحاة متأخرة في الزمن ، ومقلدة غير مبدعة ، ثم متعثرة غير ماضية ولا حاسمة ، وذلك للفارق العظيم بين طبيعة علوم الشريعة وطبيعة علوم اللغة .

ولم يكن لنا إلا محاولات جزئية في مسائل قام بها نوابغ أقوياء كالفارسي وابن جني ، لكن أحداً لم يحاول وضع تصميم لإحداث فن أصولي في اللغة كما فعل أهل الشرع .. حتى جاء ابن الأنباري .

أصول الفقه تبينت مسائله منذ وضع محمد بن الحسن الشيباني كتبه (المبسوط ، السير ، الزيادات ، الجامع الكبير ، الآثار) ووضع الشافعي (الرسالة) ، فكان النحاة يحاولون ترسم خطاهما على ضوء هذه الكتب وأمثالها ، وعرف المتأخرون خطا متقدميهم ولم يستطيعوا تقدماً يذكر ، حتى إن ابن جني أظفرنا بنص أرخ فيه هذا الإخفاق من حيث لا يريد حين قال :

« وكذلك كتب محمد بن الحسن رحمه الله ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق »[1].

استمر هذا التطلع وتلك الحسرة طوال المئة الرابعة والمئة الخامسة ، فلما جاء ابن الأنباري اهتدى إلى الفكرة ، ونازعته نزاعاً شديداً إذ كانت كل المؤهلات تجمعت فيه فقام بها وحده ، وسجل في تاريخ العربية أوليات ثلاثاً حين أسس الفنون الثلاثة الآتية لأول مرة :

١ — (فن جدل الإعراب) ، وضع له كتاب (الإغراب في جدل

---

(١) الخصائص ١/١٦٣ .

الإعراب) الذي ننشره اليوم ، فقد قال في مقدمته — وحق ما قال — :

« وبعد فإن جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) تلخيص كتاب في «جدل الإعراب» معرّى عن الإسهاب، مجرد عن الإطناب **ليكون أول ما صنف لهذه الصنعة في قوانين الجدل والآداب** ليسلكوا به عند المجادلة والمناظرة . . . . فأجبتهم الخ » .

ولم يكن للعربية في هذا الفن قبل كتاب ابن الأنباري كتاب .

٢ — فن (الخلاف) كانت مسائله مبعثرة ، بل كانت متعلقات المسألة الواحدة مشتتة في كتب البصريين والكوفيين ، وألف غير واحد في الخلاف، لكن أكثر هذه الكتب ردود جزئية. وأول من بدأ بذلك ثعلب[١] فلما ألف ابن الأنباري كتابه (الإنصاف) صار لهـــذا الفن كتاب مسجل يسعف الدارسين لأول مرة بما يريدون . وقـد كان هو معتزاً — وله الحق — وهو يشير إلى هذه الأولية مؤرخاً بقوله في مقدمة الإنصاف :

« وبعد فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين المشتغلين علي... سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بـين نحويي البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بـــين الشافعي وأبي حنيفة ، **ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب ، وألف على هذا الأسلوب ؛ لانه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألف عليه أحد من الخلف** »[٢] .

وبذلك تحققت للنحو أمنية طالما تطلع إليها الكثيرون منذ المئة الثانية .

٣ — فن أصول للنحو ، على نسق فن الأصول للفقه، وقد وضع له كتاب

---

(١) انظر كتابي (في أصول النحو) ص ٢٢٧ (طبعة ثالثة) .

(٢) ص ٣ .